

حفرية كنيسة الحصن / خربة الجدة

عام ١٩٩٢ م

إعداد : إسماعيل ملحم وناصر خصاونه

الأرضية الفسيفسائية هي لكنيسة من العصر البيزنطي.

مخطط الكنيسة

بعد انتهاء عمليات التنظيف تبين أن الأرضية الفسيفسائية قد تضررت بشكل كبير ولم تحفظ إلا بعض الأجزاء، كما أتى التدمير على أطراها حيث لم تحفظ بتشكيل معماري واضح باستثناء أساسات الحنية، وجزء من أساسات الجدارين الجنوبي والشمالي. وقد عملت هذه الكنيسة على النظام البازلتيكي الذي يتكون من رواقين جانبيين وصحن في الوسط، والحنية في مقدمة الجهة الشرقية. وتبلغ أبعاد هذه الكنيسة حوالي ٢٠ متراً شرق-غرب ، ١٠ . ٣٥ مترأً شمال-جنوب، بما في ذلك حنية الكنيسة التي يبلغ قطرها ٣٥ مترأً. وقصرت حنية الكنيسة ب بلاط طيني رصع بحجارة صغيرة الحجم، كما عشر على قصارة جصية على الجزء السفلي من أساس الجدار الجنوبي. ولم يتعثر على قواعد الأعمدة التي كانت تتوسط الأروقة باستثناء قاعدة واحدة من حجر كلسي مشدبة مربع الشكل يرتفع عن الأرضية الفسيفسائية ٤ سم ويتوارد بين صحن الكنيسة والرواق الشمالي (شكل ١).

فسيفساء الكنيسة

ت تكون الأرضية الفسيفسائية لكنيسة الحصن من عدة عناصر زخرفية جماعها ملونة، نباتية وحيوانية وأدبية وهندسية، حيث تتواجد العناصر الحيوانية والأدبية داخل وحدات هندسية: مربع، ودائرة، ومعين، وتحاط هذه الوحدات بأشرطة زخرفية هندسية نباتية متداخلة، ويوجد نوع من التمايل في الأشرطة الزخرفية التي يغلب عليها العقد المجدولة والخطوط المنكسرة. وفي المسح الذي قام به فريق الحفرية لمنطقة الكنيسة تم تحديد العديد من آبار وحزارات جمع المياه التي تحتت في الصخر الطبيعي، وبعض هذه الخزانات مداخل جانبية ودرجات، وفتح المداخل الجانبية على أماكن منخفضة سرعان ما تجتمع فيها الأمطار. وتم التعرف كذلك على قبر فردي قطع في الصخر،

الموقع

تقع خربة "الجدة" شرق بلدة الحصن التي تبعد عن مدينة إربد حوالي ٥ كم جنوباً، وهي بالتحديد تقع على بعد ١ كم إلى الشرق من تل الحصن في هضبة صخرية مشرفة، وترتفع عن سطح البحر حوالي ٦٤٠ م. وتحف بالخربة أراضٍ زراعية منبسطة تزرع بالمحاصيل الشتوية، وقسم منها مزروع بالأشجار المشمرة كالزيتون.

وتُعرف "الجدة" لغويًا بأنها مصدر "الجديد"، وتعنى ضفة النهر وشاطئه، و"الجدة" يعني الحظ والسعادة والغنى كما يعني وجه الأرض.^(١) وأبرز ما يلفت النظر في بلدة الحصن هو تلها الأثري الذي دلت أعمال التنقيب في كهف فيه على العصرين البرونزي المبكر والبرونزي المتوسط.^(٢) وهو أحد التلال الأثرية العديدة في محافظة إربد التي لم تقل حظاً وافرًا من أعمال التنقيب الأخرى.

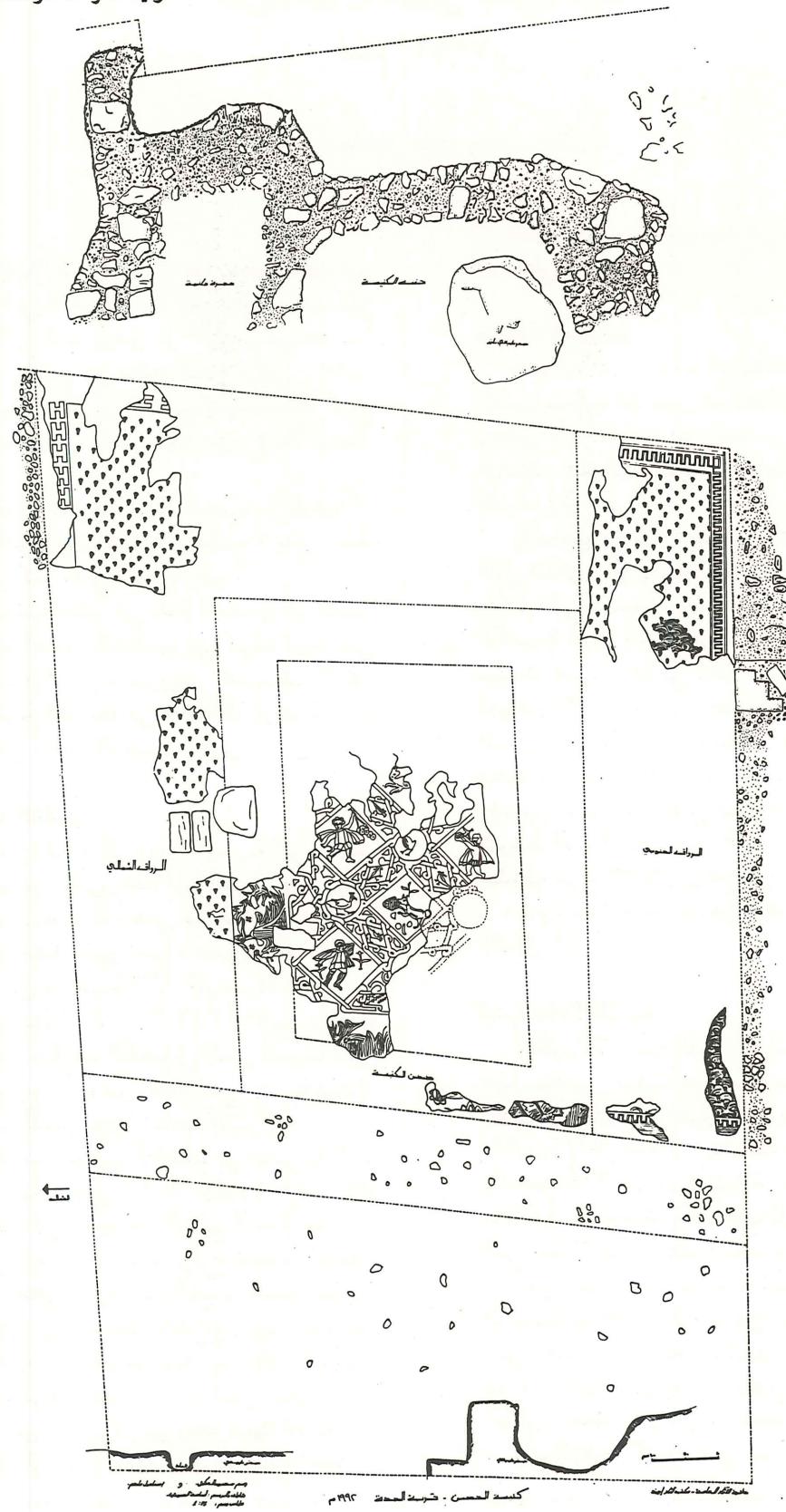
الكشف وأعمال التنقيب

تم الكشف عن الموقع إثر ورود أخبارية إلى مكتب آثار إربد بخصوص عثور أحد المواطنين صدفة على رقعة فسيفسائية، وبناءً على ما شاهده فريق من مكتب آثار إربد فقد تقرر إجراء حفرية انقادية في الموقع للكشف عن ماهية الآثار الموجودة. وقد تم العمل في الفترة بين ٥/٣ - ٥/٩ ١٩٩٢ م، وقام به فريق مكون من حكمت الطعانى الذى أشرف على العمل في الأسبوع الأول من الحفرية، وناصر خصاونه وأسماعيل ملحم اللذين توليا متابعة الأشراف.

ولغايات تنظيم عملية الكشف تم حفر ثمانية مربيعات بشكل شبهي هي: (J,G,F,E,D,C,B,A) وثلاثة مربيعات طولية في الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية هي (M,L,H). وقد تراوح سمك الطبقة الترابية التي تغطي الأرضية الفسيفسائية بين ٢ - ٤ سم، وهي تربة قاسية ذات لونبني غامق مختلطة بحجارة جيرية وصوانية متوسطة وصغيرة، ولوحظ أن هذه التربة تفتقد إلى تسلسل طبقي واضح نتيجة قربها من سطح الأرض و تعرضها لعمليات الحراثة والنشاط الزراعي. وقد أظهرت نتائج الحفر أن

G. L. Harding, 'An Early Bronze Age Cave at el- Husn', PEFA 6 (1953), pp. 1-13.

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .
المجلد الثالث. بيروت: دار صادر، - بدون تاريخ -، ص ١٠٩، ١٠٨ .
١١٠ .



شكل (١) المخطط العام لكنيسة الحصن (رسم محمد العكش واسماعيل ملحم وأسامه الحموري).



شكل (٢) المربع B كنيسة الحصن.

حبة رمان (شكل ٤)، قطف الزهور وحملها في سلة على كتفه (شكل ٥). وقد نفذت صورة الشاب بلباسه التقليدي على نحو ما ظهر في عدد من الكنائس البيزنطية من القرن السادس الميلادي مثل: مصلى القس جون وفي كنيسة عموس وكاسيوس، وكنيسة لوط وبروكوبيوس، وكنيسة القديس جورج في بيت العمودية القديم (Diaconicon-Baptistry) في نيبو.^(٣)

كما أن عملية قطف العنب بالمنجل من قبل شاب باللباس البيزنطي نفذت بشكل مشابه لكنيسة الحصن كما في كنيسة القديسين لوط وبروكوبيوس في خربة المخيط (نيبو) من القرن السادس الميلادي.^(٤) وكنيسة بيزنطية في بيسان من القرن السادس الميلادي.^(٥)

أما العناصر الحيوانية فقد جاءت تجسيداً لحيوانات المنطقة مثل: الثعلب الذي يمسك بسلة وينشر ما بها (شكل ٦)، والغزال الشارد الذي يلتفت للخلف، والارنب الذي يعدو، وعدة صور لطيور (شكل ٧، ٨). وروعي في حركات هذه الحيوانات جميعاً

والعديد من الأحواض الدائرية والمربعة، كما تم جمع عينات من الفخار المنتشر على السطح، والذي يعود لفترات مختلفة برونزية وحديدية ورومانية وبيزنطية وأسلامية. كما وجد العديد من القطع الصوانية لقاشط ونوii ووصلات، وهي جمیعاً مؤشرات على توالي استيطان الموقع.

ونظراً لسعة الآبار والخزانات وقدرتها التخزينية فإننا نوصي بالاستفادة منها لتخزين المياه لسقي الحيوانات الداجنة والمزروعات في المنطقة. كما نوصي بعمل مسح أثري لمنطقة الحصن حيث يوجد العديد من المخرب الأثرية التي يتضح فيها مقابر ومعاصر عنب وأسasات لمبان، إضافة إلى عمل حفريات منتظمة في تل الحصن الأثري.

في مبني الكنيسة ، جاءت معظم العناصر الزخرفية الأدمية والحيوانية في المربع (B) (شكل ٢) بينما جاءت السجادة الزخرفية في الرواقين الشمالي والجنوبي، وأهم العناصر الفنية هي: صورة شاب باللباس البيزنطي التقليدي يمارس عدد من النشاطات الزراعية مثل: قطف العنب بالمنجل (شكل ٣)، قطف

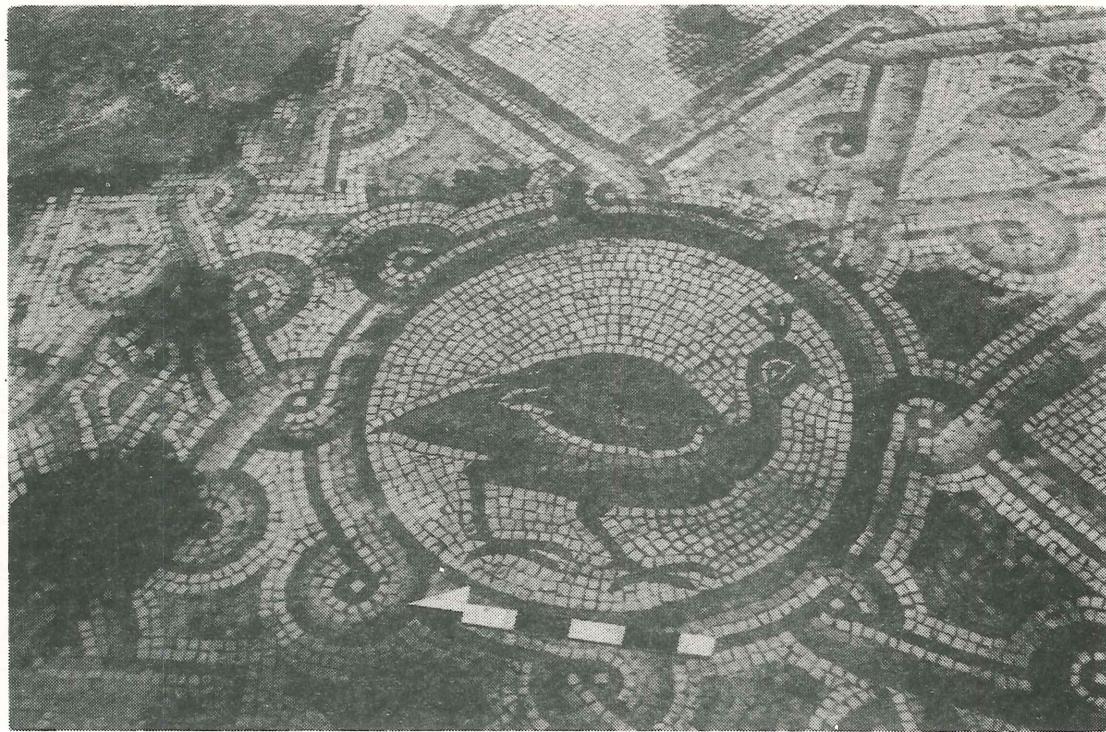
D. Bahat, 'Beth-Shan', *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, Vol. I. (1975) p. 223.

M. Piccirillo, *Mount Nebo*, (Jerusalem, 1987), pp. ٣٣-٣٥.

٤) المرجع السابق، ص ٧٦.



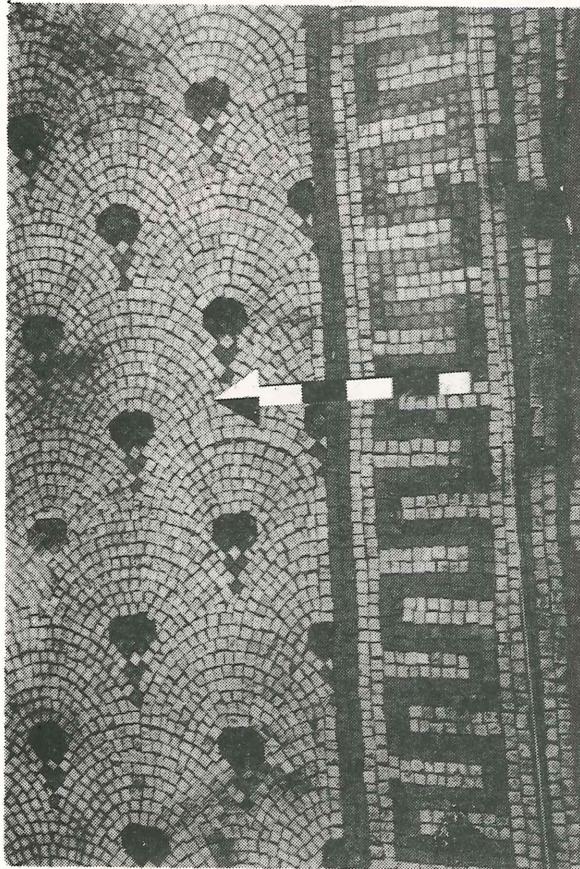
شكل (٦) ثعلب يمسك بسلة، كنيسة الحصن.



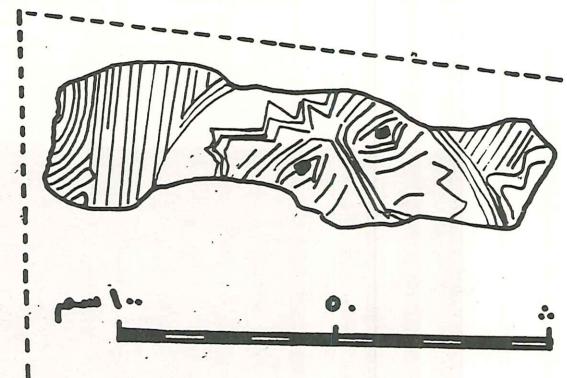
شكل (٧) طير (طاووس)، كنيسة الحصن.



شكل (٨) طير (عصفور)، كنيسة الحصن.



شكل (٩) صورة وجه انسان يعتقد انه يمثل وجه السيد المسيح، كنيسة الحصن.



شكل (١٠) صورة وجه انسان يعتقد انه يمثل وجه السيد المسيح، كنيسة الحصن.

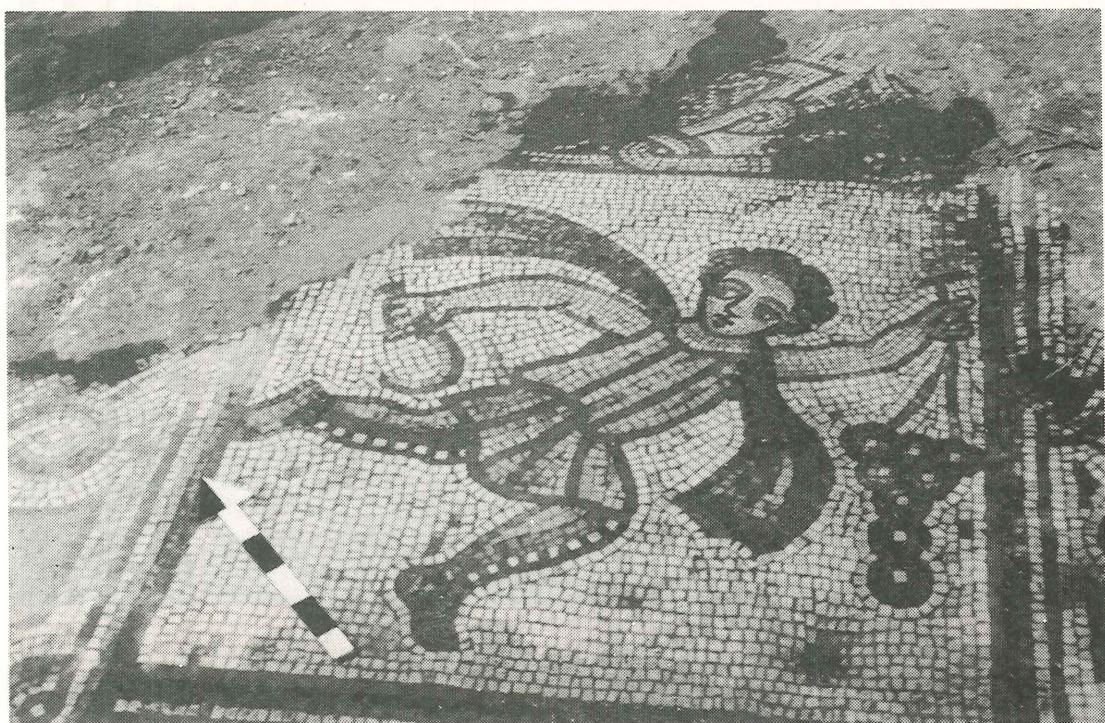
نبيو.^(١٠) ويتشكل الشريط الجانبي من خطوط منكسرة باللون الأحمر والأسود.

تاريخ الكنيسة
يدل احتفاظ هذه الكنيسة بالعناصر الزخرفية والأدبية بشكل قوي على أنها لم ت تعرض للتدمير الآيكوني الذي ظهر في أواخر العصر البيزنطي، خاصة في الفترة ما بين ٧٢٦ (٨٤٣ م) - ٧٣٦ (١١٥٥ م)، التي تم خلالها تدمير صور الحيوانات والطيور والأشخاص.^(١١)

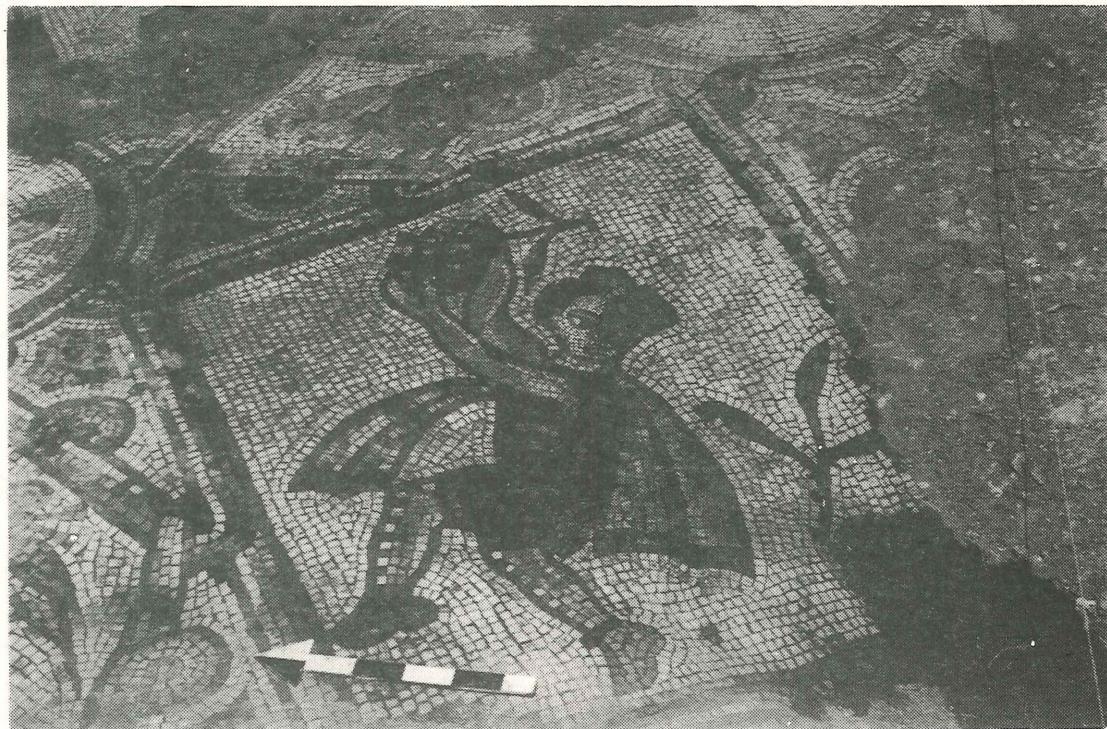
العصري، صيدا - بيروت ١٩٨٤، ص ١٠٦ - ١١٥.

(١٠) المرجع السابق ص ١٩٥ - ٢٠٥، ٣٩٢.

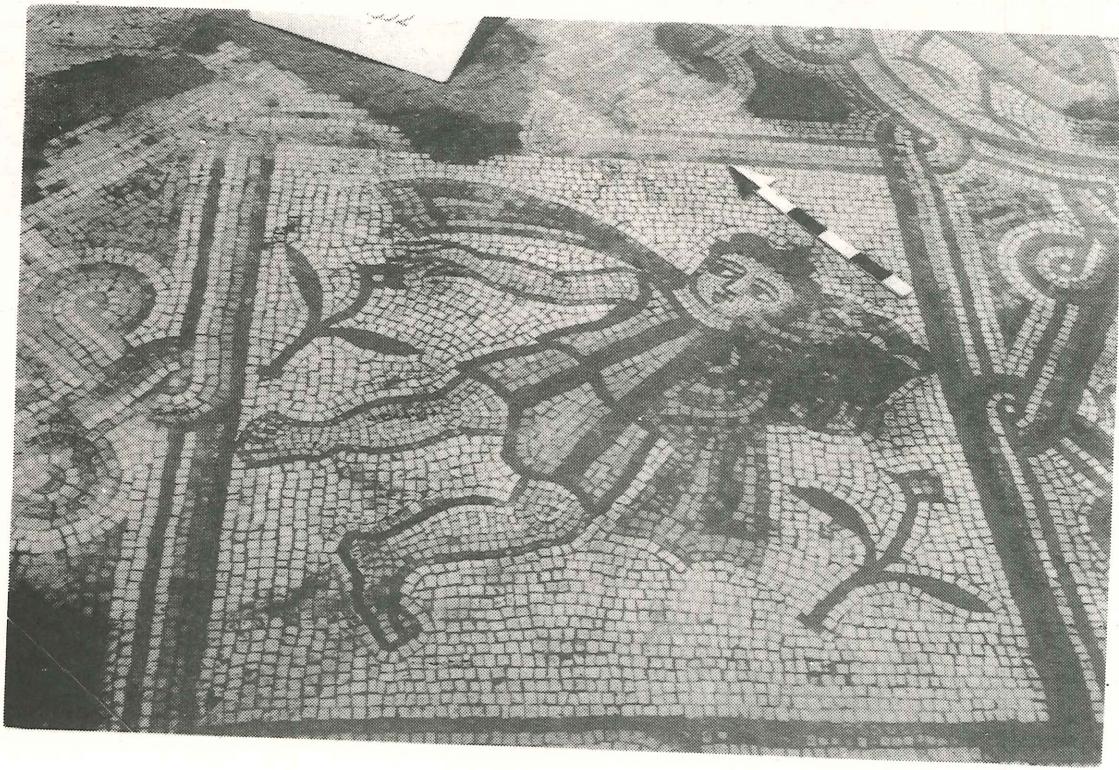
(١١) أحمد عبد القادر البوسف . الامبراطورية البيزنطية. المكتبة



شكل(٣) قطف العنبر بالمنجل، كنيسة الحصن.



شكل(٤) قطف حبة رمان، كنيسة الحصن.



شكل (٥) قطف الزهور وحملها في سلة، كنيسة الحصن.

كنيسة الشمس توماس في نيبو.^(٦) وعثر على وجه انسان في كنيسة الحصن، كالذى وجد في كنيسة الرسل في مادبا من القرن السادس الميلادي، يعتقد انه يمثل وجه السيد المسيح (شكل ٩).

وقد راعى الفنان أن تكون الوحدات الفنية التي تشمل العناصر الآدمية والحيوانية متصلة عن طريق العقد الجدولية المتصلة بأطراف المرباعات والمعينات، وروعي في ألوانها أن تعطى تدريجاً لونياً جميلاً استخدمت فيه الألوان: الذهبي والأزرق والأحمر والأسود والبني والأصفر. وتغطي منطقة الرواقين الجانبين الشمالي والمجنوبي زخرفة السجاد (شكل ١٠)، ويغلب عليها اللون الأبيض وهي مكونة من أنصاف دوائر متداخلة يتوسطها تاج لوردة حمراء اللون بشكل متكرر. ووُجد مثلها في كنيسة الشمس في

الطرافقة ولفت الانتباه لإدخال نوع من الحيوانية الى اللوحات الفنية.

وتتشيع مثل هذه العناصر في الكنائس البيزنطية مثل: صورة الثعلب بأكل من سلة عنب كما في كنيسة الشمس في نيبو.^(٧) وصورة الثعلب والغزال في حالة الوثوب، وصور الطيور من أنواع مختلفة كما في كنيسة موقع قم^(٨) بالقرب من إربد التي تعود للقرن السادس الميلادي. والارنب الذي يعود كما في كنيسة القديسين لوط وبروكوبوس في خربة المحيط.^(٩) ويشابه الشريط العريض الذي يحيط بصحن الكنيسة، والذي زود برسوم متداخلة من أوراق النبات وعناصر آدمية وحيوانية كالأرنب الذي يعود. وجزء من طير مدمر ووجه انساني يتشابه مع الشريط المحيط بصحن

Piccirillo, *Mount Nebo*, p. 76. (٨)
Piccirillo 'Archaeological Excavations', pp. 195-205, (٩)
392.

.٣١، ٦٥، ٦٤، ٦٣

M. Piccirillo, 'Archaeological Excavations at 'Ay-oun Mousa - Mount Nebo (1984-1987)', ADAJ 32 (1988), pp. 195, 205, 393.

(٧) فايز الطراونة. موقع قم في ضوء الاعمال الميدانية : دراسة محلية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة اليرموك ١٩٩١، ص

جوستنيان (٥٢٧-٥٦٥م). كما ان معظم الفخار الذي عثر عليه فوق الأرضية في طبقات الحفر الاختبارية يعود للفترة البيزنطية المتأخرة من القرن السادس الميلادي.

اسماويل ملحم
ناصر خصاونة
مكتب آثار اربد
دائرة الآثار العامة

وتشكل اللوحات الفنية في أرضية كنيسة الحصن مواضيع تكررت في كنائس مادبا ونبيو وأم الرصاص مثل نشاطات محلية للسكان. ومعظم هذه الكنائس أنشأت في القرن السادس الميلادي، وهو تاريخ يتفق مع تاريخ كنيسة الحصن، إذ عثر في الطبقة الواقعة تحت الرصفنة الحجرية التي تأسست عليها طبقة الفسيفساء على قطعة عملة برونزية بحالة رديئة هي على الأغلب من فترة حكم الامبراطور البيزنطي